مســـرحيــة

جبيـــــنة

سعادة أبو عراق

المقـــــــدمة

(جبينــة)حكايــة شــعبية معروفــة فــي المجتمــع الفلســطيني والأردنـــي، يتـداولونها شـفهياً، وتـمَّ توثيقهـا مـن قبـل الـدكتور عمـر الساريسـي بكتابـه (الحكايـة الشعبية الفلسطينية) ولقد وجدت في هذه الحكاية عنصراً دراميـاً، تتجلـى بهـا جدليـة القوة والضعف، والجمال والقبح، والعدل والظلم، وهذا فتح الـذهن علـى آفـاقٍ أخـرى لإثـراء الـنص، ممـا جعلنـي أعمـد إلـى صـياغتها مسـرحياً، ذلـك أنـي رأيتهـا لا تبتعـد كثيرا عن قصة سندريلا العالمية، فسندريلا الذي كان جمالها يثير الغيرة فـي اختيهـا، هي نفس العقدة التي جعلت من الخادمـة صـبيحة أن تستفرد بسيدتها جبينـة وتجعلهـا خادمـة لهـا، والقَدَرُ الـذي أسـقط فـردة حـذاء سـندريلا، كـي يبحـث الأميـر عـن الفـردة الأخرى، هو نفس القَدَر الـذي قـاد الأميـر حـزام إلـى تفقـد أغنامـه، ليسـتمع إلـى بكـاء غنائها، لكي يتزوجها كما تزوجت سندريلا من الأمير.

أظن أن تحويـل هذا الحكايـة إلـى مسـرحية، لـم يكـن مـن قبيـل السـطو علـى التـراث، بـل التأسـيس لتيـار يقـوم بتجديـد المـأثور الثقـافي وعصـرنته وفـق المعطيـات الثقافية الحديثة، وليس الاكتفاء باستنساخه وحفظه، ولا أظن أني اجترحت امـراً غيـر مسبوق، فمن قبلُ قام شكسبير باستلهام حكايـات وأسـاطير ووقـائع استقاها ممـا كتبـه الإيطاليون واليونـانيون والدينمركيون وغيرهم، وجعل مـن تلـك الحكايـات التـي كانـت تتلى للمتعـة والموعظـة، إلـى أعمـال إبداعيـة عالميـة، خلـدت صـاحبها، وجعلـت مـن الآدب الإنكليزي أدبا عالميا أيضاً.

إن مَسـرَحَة هـذه الحكايــة، لـم يخـل فــي بنيانهـا ولا نكهــة طابعهــا الشــعبي المفعـم بالأسطورة والسحر والخيال، فهي نموذج للتيـار الـذي يسـعى لعصـرنة الثقافـة، بـربط الماضـي بالحاضـر ربطـاً حيويـاً، كاستنبات الفسـائل النضـرة علـى الأرومـة العتيقـة.

شخصيات المسرحية

أولا: المكان والزمان :

تدور أحداث المسرحية في بيئة ريفية، أقرب إلى البيئة البدوية، في زمن يبعد عنا قرن ونصف أو قرنين على الأقل، لذلك يستلزم لباساً يوحي بالفترة التي تجري بها المسرحية، ومراعات القيم الموروثة والمفاهيم السائدة والبنية الاجتماعية.

ثانيا الشخصيات :

جبينة	فتاة جميلة بيضاء لم تبلغ السابعة عشر من عمرها.
صبيحة	خادمة جبينة قوية الجسم سوداء البشرة عدوانية وليست جميلة.
حزام	أمير شاب قيادي قوي الشخصية يحكم منطقة ليست المنطقة التي تسكنها جبينة.
لافي	مساعد حزام وصديقه وله نفس العمر.
أم حزام	إمرأة كبيرة السن طيبة وكريمة تسكن قصر ابنها.
خادمة	تعمل في قصر حزام، لمَّاحة طفولية وصريحة حد عدم التهذيب.
والد جبينة	رجل كهل وجيه وثري ومُتعَبْ ومحِبٌ لابنته ويخاف عليها.
أم جبينة	امرأة في عمر زوجها، حريصة على حياة ابنتها ومستقبلها.
سمعون	ببغاء تملكه جبينة ويرافقها، يمكنه نقل الرسائل اللفظية.
كمبرس	فتيات في عمر حبينة.

المشهــد الأول

(تفتح الستارة عن ساحة بيت ريفي مملوء بمقتنيات وأثاث يدل على العصر والمكان الذي تدور به أحداث المسرحية .المسرح خالٍ تماماً، أصوات بعيدة لغناء جماعي يوحي بعرس يقام في الخارج، يخرج من جانب المسرح والد جبينه، يلبسُ بما يوحي أنه أحد الوجهاء، يتوكأ على عصا، يتألم من أوجاع غامضة)

والد جبينة :(**ينادي بصوت دافئ**) جبينة .. يا جبينة ..!!

(لا يجيبه احد ، يعيد النداء ويخالطه قلق)

: جبينة .. يا جبينة

(لا يسمع جواباً ، يزداد قلقه ، فترتفع حدة صوته)

: يا جبينة . يا صبيحة

(يتمتم بصوت مسموع)

: لا جبينة موجودة ولاصبيحة الخدامة موجودة !!

(تخرج امرأ في مثل سنه)

المرأة :ما بك يا (**أبو جبينة**) لماذا أنت منزعج ؟؟

ابو جبينة : أين جبينة يا أم جبينة ... أين البنت ؟

ام جبينة :(**بعدم اكتراث**)لا أدري !! ربما ذهبت إلى العرس

ابو جبينة :(**بتساؤل**) للعرس... ؟؟ ...... ولوحدها ..؟؟

ام جبينة : **(مستغربة)** طبعاً معها الخادمة صبيحة، صبيحة لا تتركها أبدا.

ابو جبينة : (**محذرا**) لقد كبرت البنت يا أم جبينة، يجب أن لا نتركها لوحدها.

ام جبينة :(**بفرح**) أعرف أنها كبرت وأصبحت عروساً، وأعرف أن قلقك عليها في محله ، وهو نابع من حبك الشديد لها.

ابو جبينة :أنا منقبض، أشعر أن أمراً ما سيحصل.

ام جبينة :كفانا الله الشر (**محتدة**) وماذا سيحصل ؟

الاب :(**بتراجع**) ولكني قلق عليها، أشعر بقلق ما.

الام :(تطمئنه) لا تقلق ولا تهتم، إنها الان مع رفيقاتها في العرس، ترقص وتغني وتضحك وتمرح، لابد أنها سعيدة وأسعد مما تتصور.

الاب :لا تستطيعين اقناعي، لا يجب أن نجعلها تغيب عن أنظارنا.

الام :(تقترب منه متفحصة) كأنك جادٌ في كلامك يا رجل ؟ أي خطر يمكن أن يُهددُ البنت؟ أهالي البلدة يعرفونها، كما نعرفهم واحداً واحداً، لا أظن ان غريبا يدخل القرية ولا يتم التعرف عليه، إننا لا نخشى الغرباء، ومن ناحية أخرى، وهذا أهم ما في الامر أن صبيحة معها، ترافقها، تحرسها وترعاها، وهي أقوى من بغلة، لا يستطيع أحد أن يقترب منها

الاب :كل ما تقولينه صحيح ومنطقي، ولكني أشعر بهاجس شديد من القلق، أشعر أن شيئا ما سيحصل.

الام :أنا أعرفك منذ ثلاثين سنة، إنك حساس ودائم التوجس والخوف، وهذا طبع متأصل بك.

الاب :إنها ابنتنا الوحيدة، لم يرزقنا الله غيرها، لذلك يجب أن نُحافظ عليها ونرعاها

الام :لذلك يجب أن نعطيها حريتها، نتركها تتمتع بحياتها، تلعب، تلبس، تمرح، أهالي قريتنا طيبون، وبلدتنا أمان في أمان ، أتريد أن تضعها بصندوق وتقفل عليها؟

(يسكت الأب على غير قناعة، تفكر الام قليلاً، كأنها فطنت لشيء تذكرته)

الام :ما رأيك أني أحسُ بعكس ما تحس به !! ما رأيك أني أتوقع لها زواجاً قريبا

الاب : تتزوج بإذن الله ، شئت هذا أم ابيت.

الاب :(على مضض) قطعاً ستَتزوج.

الام :وستتزوج أيضاً من أمير

الاب :(مندهشا) من أمير ؟ إنك تهذين.

الام :(مؤكدة) نعم أمير ... قلبي يقول إنها ستتزوج من أمير

الاب : ولكن بلادنا لا يوجد بها شباب من الامراء، أمير بلادنا الذي لم نره ابداً، شيخ كبير لم ينجب أولادا ليكونوا أمراء من بعده.

الام : لكني أؤكد لك أن جبينة سوف يتزوجها أمير، هكذا قلبي يحدثني، لا تناقشني في ذلك، عندي إحساس أنها ستتزوج من أمير .

(تتابع فكرتها)

والآن اتركنا من هذا الموضوع ، ألا تريد أن تذهب مع الفاردة لجلب العروس؟

الاب : الا ترين أن صحتي لا تساعدني على السفر، إن العروس في بلدة بعيدةٍ

الام : ولكن لا بد أن نذهب، لكي نذهب أنا وجبينة معك.

الاب : لا استطيع.

الام : إن لم تذهب، لا يليق أن أذهب لا أنا ولا جبينة.

الاب : لسنا ملزمين بالذهاب.

الام : واجبنا أن نذهب، وإلا فإنَ أهل العريس سيعتبون علينا.

(يأتي الطائر سمعون محلقاً ، يتكلم بصوت ببغائي)

سمعون : جبينة قادمة ... جبينة قادمة...

الام : اسمع ما يقوله سمعون، هل اطمأن قلبك؟

(تنظر بعيداً) إنها هناك، انظر إليها، إنها قادمة مع صبيحة.

الاب : (يتنفس الصعداء ويحاول أن يتنكر لقلقه) كنت أعلم أنها ستأتي، إلى أين ستذهب؟ بلدتنا صغيرة ، تقطعها الدجاجة بربع ساعة ، لكنها لم تقل لي إنها ذهبت للعرس.

الام : شاهدها، تنط وتقفز، تمرح مثل فراشة,

الاب : لقد عوضني الله بها عن عشر بنات وعشرة صبيان.

: (تدخل جبينة وخلفها خادمتها صبيحة، يستقر الطير على كتف جبينة)

جبينة : السلام عليكم، (بسرور ومرح) كيف حالك يا أبي ؟

الاب : (كأنه يعاتب) وعليك السلام ، لماذا غبت طويلاً

صبيحة : (بذل واستكانة) كيف حالك يا سيدي ؟ كيف حالك يا ستّي
سمعون : (وهو على كتف جبينة) الفاردة ...[1] جبينة تروح الفاردة
الاب : ماذا يقول هذا الببغاء
جبينة : كنت سأرسله ليقول لك إني سأذهب مع الفاردة
الاب : الفاردة ! هل هذا أسلوب لتبلغيني أنك ستذهبين مع الفاردة
جبينة : أنا لم اذهب، خشيت أن تغضب مني
الام : نعرف انك لا تفعلين هذا
جبينة : أفهم أنكما لا تريدان الذهاب مع الفاردة
الام : أبوك متعب، والمسافة بعيدة، ولا يقوى على السفر.
جبينة : لا يوجد مشكلة، يركب حصانه ونحن نركب الهودج.
الام : يا ابنتي، ما دام أبوك غير ذاهب، فعلينا أن لا نذهب نحن أيضاً
جبينة : ولكن علينا أن نشارك بالعرس.
الام :أهل العرس يعرفون وضع أبيك الصحي، إنه لا يستطيع الذهاب.
جبينة : (يبدو عليها خيبة الأمل والإحباط ، تنظر لوالدها بتوسل)
الاب : لا يمكن أن تذهبي يا ابنتي، ليس من اللائق أن تذهب فتاة أو امرأة إلا مع والدها أو زوجها.
جبينة : أذهب أنا وصبيحة وسمعون، فهي ترعاني وتحميني وترافقني دائماً ، وسمعون يزودك بأخبارنا.
سمعون : (بصوت ببغائي) أنا جاهز ، أنا جاهز
الاب : يا ابنتي ، الطريق طويلة، ومتعبة، وبلدة العروس بعيدة.
ولا يمكنك أن تسافري مع صبيحة.
جبينة : صبيحة تساعدني، تحميني، اما تراها طويلة، قوية، تستطيع أن تضرب اقوى الرجال وتصرعه.
سمعون : صحيح يا سيدي، صحيح يا سيدي
الاب : ولكن صبيحة مهما كانت قوتها، فهي فتاة، تضعف وتجبن عند المواجهة، وسمعون لا ينقل لنا إلا ما تقولينه له.
جبنة : ولكني لا أسير وحدي، انا مع القافلة، ضمن الفاردة، فيها عشرات الحمير والخيول والجمال، تحمل النساء والرجال من أهل البلد، أنا لن أكون وحدي.
الاب : مهما قدمت من تبريرات، لن تذهبي وحدك.
(جبينة تستدير وتبدأ بالبكاء)
(تدخل مجموعة من الفتيات بحركات راقصة فيها طفولية، يتحلقن حول أم جبينة، يدرن حولها بحركات راقصة ويغنين)
المجموعة : يمّ جبينة يمّ جبينة خلّي جبينة تروح معنا
بتسلينا وبنسليها في روحتنا وفي جينتنا

[1] عملية احضار العروس من بلدة اخرى

يم جبينة يم جبينة   خلّي جبينة تروح معنا
الام   يا بنـاتي يا حلويــن   م بنسمحلَهْ تسافر وحدا
الدرب بعيدة وهي صغيرة   وما بتتحمل تعب وشدّة
(تتوحة الفتيات نحو الاب)
المجموعة   يا بو جبينة يا بو جبينة   خلي جبينة تروح معنا
بتسليــنا وبنسليــها   في روحتنا وفي جينتنا
يا بو جبينة يا بو جبينة   خلي جبينة تروح معنا
الاب   : (يبدو محرجا)
يا بنـّياتي يا بنـيّاتي   ما بصير تروح معكم
انا وامـّـا تعبـانين   ما بنقدر نحنا نرافقكم
عيب البنت تروح وحدا   مش خايف والله منكم
المجموعة   : (تحاصر الاب أكثر)
ي بو جبينة ي بو جبينة   بنركبـها في هودجنـا
واهل القرية كلهم راحو   واحنا معهم ،عمو[2] خرجنا
الاب   : (يوافق)
روحو روحو الله معكم   لكـنّي بدّي وصّـيكم
لا حـدا يحكي معاكم   ديروا بالكم ع بعضيكم
المجموعة   : إطّمن جدا ابو جبينة   ما بنقبل حدا يحرجــنا
يا ابو جبينة من زمان   ع الغناني[3] ما تفرجــنا
الاب   : (يشير الى الهودج)
هاي الهودج جاهز إلكم[4]   وهاي صبيحة معكم عونة[5]
بوصيكم ، وانتو اعرف[6]   حبة قلـبي هـي جبـينة
المجموعة   (بامتنان)
شكرا شكرا يا بو جبينة   جبـينة جـوّا في عينـينا

---

2 _ ياعمّي
3 _ على اغاني الاعراس
4 _ هذا الهودج مجهز لكم
5 _ صبيحة تعيمكم
6 _ انتم اعرف منّي

المشهــد الثا نــــي

(منطقة خالية تماماً، موحشة، تُشعر بالوحدة والخوف، أصوات رياح جافة، صبيحة تنيخ جملا عليه هودج ، تتناثر حجارة وغبار بشكل عشوائي) (تنزل جبينة من الهودج، تنظر في أرجاء المكان، تتفاجأ، تنادي بهلع)

جبينة : صبيحة ... يا صبيحة ... أين أنت... ؟ أين ذهبت ...؟

(تدخل صبيحة ، وقد بدت عليها حركات متكلفة، توحي بالتمرد، تغري على الاستفزاز)

جبينة : (وهي تنظر الى صبيحة) في أي مكان نحن يا صبيحة، لماذا نحن هنا ؟ وما هذا المكان ؟

صبيحة : (تتصنع دور السيدة الآمرة) بعد قليل سيصل الظعن [7]

جبينة : (تشعر بالوحدة والخوف) وأين هم ؟ ولماذا خرجنا عنهم ؟

صبيحة : (بلهجة السيدة الآمرة) سلكت بك الطريق الاقرب، فأنا أعرف ا لطريق.

جبينة : (محتدة) ومن أمرك بأن تاتي من هذه الطريق ؟

صبيحة : (محتجة) ومن له الحق بأن يأمرني ؟

جبينة : (مسنغربة) ما هذا الكلام يا صبيحة ؟ أنا سيدتك وأنت خادمتي

صبيحة : (ببرود اعصاب) كان هذا منذ زمن، أما الآن فانا سيدتك وأنت خادمتي

جبينة : (بإنكار) أنت تكونين سيدتي ؟؟؟ وأنا اكون الخادمة ؟؟؟

صبيحة : (بهدوء) نعم .... وعليك أن تطيعيني منذ الآن، وتنفذي كل ما أقوله لك.

جبينة : (بثورة) ولكني سالقنك درساً لن تنسيه يا خادمة السوء.

صبيحة : (بتحد) جربي إن شئت، فأنا الذي ستلقنك الدرس.

جبينة : (تتقدم منها بجرأة ، وتلطمها ، وتشدها من شعرها) أنت خادمة لي

صبيحة : (ترد الصفعة باقوى منها، تتشاجران، تطرح جبينة أرضا، وتجلس فوقها) سأجعل منك خادمة ذليلة.

جبينة : (منهارة القوى والمعنويات) ماذا فعلت بك حتى تفعلي هذا الفعل بي،

صبيحة :لا أنتظر كي تفعلي شيئاً، أنا السيدة، أنا خُلقت لأن أكون سيدة، ومثلك تكون الخادمة.

---

[7] _ القافلة

جبينة : (تنهض باكية) ما كنت أظن أنك لئيمة، وغدارة، أهذا جزاء الاحسان؟ أهذا جزاء والدي ووالدتي اللذان ربياك طفلة صغيرة ؟ لا تعرفين لك أباً ولا أماً، أهذا هو جزاء الإحسان ؟

صبيحة : (بعنفوان) تكلمي ما شئت ، فأنا الآن السيدة ، وأنت الخادمة، وعليك منذ الآن أن تطيعيني وتأتمري بأمري، وتفعلي ما أقوله لك.

جبينة : (تحذرها) وحينما نعود، سيكون عقابك شديداً عند أمي وأبي

صبيحة : أنت مغفلة ، إننا لن نعود ، نحن أبعد مما تتصورين، ولن نعود الى أهلك أبداً، إنك لن ترينهم أبداً

جبينة : بل سنموت معاً في هذه الصحراء ، وفي هذه الصحراء لا يوجد فرق سيد وعبد.

صيحة : عزّي نفسك بما تشائين من القول، فهذا لن يغير من الواقع شيئاُ، إنك الآن الخادمة، فاذهبي واخلعي ملابسك كلها.

جبينة : (بغضب) ماذا ..... ؟ أخلع ملابسي ؟ !!!

صبيحة : نعم .... اخلعي ملابسك ، وأنا ساخلع ملابسي، أنت تلبسين ملابسي وأنا البس ملابسك.

جبينة : (بدهشة) ماذا ... هذا لا يمكن

صبيحة : (بلهجة آمرة) إفعلي ما أقوله لك.

جبينة : هذا لا يمكن، لا أقبل هذا.

صبببيحة : بل ستقبلبن، وإلا قمت ومرغتك بالارض.

جبينة : (تستعيد عزيمتها) بل أنا الذي سيمرغ بك الأرض هذه المرة.

صبيحة : تعالي وجربي مرة ثانية (تهجم عليها، تتشاجران، تطرحها أرضاً) والآن .... أتنزعين ثيابك أم أنزعها عنك ؟

جبينة :(تنهض باكية) نعم أنزعها ، ولكن ليس بالعراء.

صبيحة : (تشعر بالنصر) كما تشائين، اذهبي خلف تلك الصخرة.

(تذهب جبينة وراء صخرة، بعد فترة ترفع يدها بفستانها الجميل، تتوجه صبيحة وتأخذه منها، تظل جبينة متوارية خلف الصخرة، بينما تلوذ صبيحة بصخرة اخرى، تخرج بعد فترة وقد لبست ثوب جبينة الضيق جدا، وتحمل بيدها ثوبها البالي الوسخ، وتناوله لجبينة المتوارية خلف الصخرة، تخرج جبينة بعد مدة وقد لبست ثوب صبيحة الفضفاض)

(تتقدم الاثنتان إلى مقدمة المسرح، تبدو جبينة في وضع محرج، بينما تحاول صبيحة أن تحسن لبس ثوب جبينة، تتبختر بمشينها مقلدة مشية السيدات الأنيقات، فتبدو مضحكة)

صبيحة : والآن ... ألا أبدو أنا السيدة وأنت الخادمة ؟

جبينة : بل ستظلين الخادمة، ولن تستطيعي تمثيل دور السيدة.

صبيحة : بل استطيع، والان أيتها الخادمة، ادخلي الزر في العروة، (تدير لها ظهرها) واسحبي الفستان من الخلف، إياك أن توسخيه.

جبينة : (تتقدم، تمسك الفستان، تتلمسه كأنها تودعه، تعامله بلطف، وقد أصبح ملكاً لغيرها)

صبيحة : (وهي ترتبه على نفسها) إياك والفستان، لا تشديه بعنف،
(تستدير لها وتقف وقفة استفزاز)
والآن اخلعي حذاءك.

جبينة (تصرخ) حذائي ...!!؟؟

صبيحة : (ببرود)نعم، حذاؤك ....!! رغم أنه صغير على رجلي، لكني سألبسه أيضاً، لأن السيدة لا تمشي حافية .

جبينة : ولكني لا أستطيع أن أمشي حافيةً.

صبيحة : كل الخدم يمشون حفاه .

جبينة : هذا ظلم ، إنه ظلم، كيف استطيع أن أمشي حافية بهذه الصحراء؟

صببيحة : سوف تتعودين على المشي حافية، ستجدين صعوبة أول الامر
(تهزها) هيا اخلعي الحذاء.

جبينة : (تخلع الحذاء ببطء وحزن والم)

صبيحة : البسيني إياه أيتها الخادمة.

جبينة : (تتقدم نحو صبيحة، وتلبسها الحذاء بألم شديد)

صبيحة : (تقف، وتمشي مشية توحي بضيق الحذاء، يبدو عليها الفرح والاغتباط) لا بأس سأتعود عليه

جبينة : (تجرب السير حافية ، تؤلمها الحجارة والحصى)

صبيحة : يا جبينة ، اذهبي الى الهودج واحضري لي المرآة والمشط ، اريد ان ارى نفسي

جبينة : (تتوجه حافية الى الهودج ، وتعود بالمشط والمرآة التي تعود اليها)

صبيحة : (تأخذ المرآة والمشط ، تتأمل ذاتها ، وتبدأ بتمشيط شعرها ، بما يغيظ جبينة ،)
وجهي اسود ، لا بأس
(تتقدم نحو جبينة ، تمد يدها لجيب الثوب الذي ارتدته جبينة ، تخرج منها صرتان ، تتفاجأ جبينة بهما)

جبينة : (مستغربة) ما هذا

صبيحة : (تشرح ببساطة) هذه صرة بها جير أبيض، وهذه بها سخام ، بالجير سوف اطلي به وجهي كي يصبح مثل الثلج ، وبالسخام سوف اطلي به وجهك ليصبح اسود مثل القدر

جبينة : (مذهولة) يا الهي .... وكيف احضرت هذا ؟ لقد كنت تخططين للغدر منذ زمن

صبيحة : اخطط منذ زمن بعيد

جبينة : يا الهي .... انّي لا اصدق كل هذا

صبيحة : عليك ان تصدقي ، والان ، تقدمي مني ، ضعي الجير على وجهي ، كي يتحول الى الابيض

جبينة : (تقوم بطلاء وجهها بغير مهارة ، يصبح ابيض ، تنظر صبيحة في المرآة)

صبيحة : سأقوم الآن لاخر مرة بدور الخادمة ، سأقوم بتسويد وجهك بهذا السخام ، تقدمي ، انه سخام سيجعل منك خادمة حبشية رائعة

(تتقدم جبينة بإذعان وخوف، بينما تقوم صبيحة بوضع السخام على وجه جبينة ، بشكل استفزازي ، يتحول وجه جبينة من الابيض الناصع الى الاسود الفاحم ، وكي تزيد من اغاظتها تريها وجهها بالمرآة ، ترتعب من المنظر ، تصرخ ، بينما تشعر جبينة بالفخر)

صبيحة : والان جاء دور شعرك

جبينة : (تصرخ) شعري........!!!

صبيحة : شعرك ، ليتني استطيع ان اخلعه ، واضعه فوق راسي ، ولكن عليك ان تعفريه بالتراب ، هيا عفريه

جبينة : يا الهي

صبيحة : هيا والا........

جبينة : (تحثو التراب على شعرها فيصبح منفوشا قذرا)

(صبيحة تنظر في المرآة ، وتقوم بتمشيط شعرها والتأنق بلبس المنديل)

صبيحة : انتهينا ، فلنركب الهودج الآن

(تتجهان نحو الهودج ، تقفان كمن يتهيأ للركوب)

صبيحة : اركعي كي اصعد على ظهرك

جبينة : يا الهي ... لا يمكن هذا ، انا لم اعاملك يوما بهذه القسوة

صبيحة : ولكن هذا يروق لي ، وليس هذا فقط ، يل ستقودين الجمل ، وانا راكبة بالهودج الى حيث اريد

جبينة : لا يمكن ، اذن اعطيني الحذاء ،

صبيحة : الخدم لا يلبسون الاحذية

جبينة : ولكني لا استطيع

صبيحة : ستقدرين ، وستمشين امام الجمل كما مشيت انا ،

(يأتي الببغاء سمعون ، يحط على كتف جبينة ، تمسكه وتناجيه)

جبينة : تناجيه بغناء جميل

يا سمعون يا سمعون روح لامي وقلــها
قول جبينة خادمة وصبيحة تريد تذلـها
تقود الهودج حافية بصحرا ما تندلــها
والشوك جرّح رجلها ولا شجرة تقعد ظلها[8]

[8] _ تقعد بظلها

صبيحة : (تقترب من جبينة ، تمسك بالطائر ، تلقيه على الارض ، تحاول دوسه برجلها ، بفر ، ترجمه بحجر، يمعن بالفرار ، تتبعه بحجارة اخرى ، يتمكن من الطيران والابتعاد).

صبيحة : (تامر جبينة) اركعي ، هيا اركعي

(تجرها من كتفها ، تجلسها على الارض ،جبينة تركع ، جبينة تصعد على ظهرها)

المشهـد الثـالث

المكان هو قصر الامير حزام، مكون من قاعة كبيرة، مملوءة بمفارش وبسط عربية، يتوسطها دلال من القهوة موضوعة على كانون نار، ومعلق على الجدران سيوف وتروس ومناظر توحي بالبداوة والثراء ،وهناك شباك كبير يطل على الخارج.

يفتح الستار عن امرأة شابة تنظر بامعان إلى الخارج، باهتمام واضح. بينما تدخل امرأة كبيرة السن، ملابسها بدوية انيقة وجميلة، يبدو عليها الجاه والثراء.

تشعر الفتاة بدخول المرأة، تستدير وتتقدم منها باهتمام.

الخادمة : ستّي أم حزام ، ستي أم حزام ، تعالي وانظري

ام حزام : (تنهرها بلطف) عيب أن تنظري من الشباك، لو رآك ابني حزام لقطع رأسك بالسيف.

الخادمة : عفواً يا سيدتي إنه منظر غريب، تعالي وانظري.

ام حزام : (مستغربة) أمرك غريب، هل من عادتنا أن ننظر من الشبابيك ؟

الخادمة : (وهي تنظر من الشباك) أظن أني أرى أميرة وخادمتها تقصدان القصر، ربما تكون صديقة لك.

ام حزام : (تقترب وتنظر من الشباك) غريب ! إنني لا أعرف هودجاً بهذا الشكل ، ولا جملاً كهذا، ولا عبدةً سوداء مثل هذه العبدة.

الخادمة : ألم أقل لك إنه منظرٌ غريبٌ !

ام حزام : إذن قولي للحراس أن يفتحوا الابواب، هيّا.

الخادمة : (وهي تنطلق) أمرك يا سيدتي.

: (تدور أم حزام في أنحاء القاعة، ترتب بعض الأثاث، ترش بعض العطر وتشعل البخور، تعاين أباريق القهوة، تعيد ترتيب ملابسها، تمسح على البسط والسجاد، استعداداُ لاستقبال الضيفة)

ام حزام : (تكلم نفسها) أكيد إنها ضيفةٌ لم أشاهدها من قبل، جاءت تقصدني من مكان بعيد.

(تتحرك داخل القصر بقلق، تدخل الخادمة ومعها صبيحة)

الخادمة : تفضلي ... ، تفضلي ....

(تدخل صبيحة، تنظر بارجاء القصر بانبهار، تتصنع مشية وحركات النساء الثريات، تستقبلها أم حزام مصافحة)

ام حزام : أهلا بك يا ضيفة الرحمن، أهلا وسهلا بك في بيتك، في قصر الامير حزام.

صبيحة : (تندهش، ترتجف، تشعر انها اخطأت الهدف) شرف عظيم لم أكن أتوقعه، لم أحلم يوماً أن اكون ضيفةً في قصر الأمير حزام.

ام حزام : قصر الامير حزام مفتوح لكل الضيوف، كل من يدخل قصر الامير حزام يصبح اميرا، نعامله معاملة الامراء،

صبيحة : أنا لا أقدر أن أردَّ على مثل هذا الكلام الجميل، لست بليغةً مثلك يا أم حزام.

ام حزام : الحب الصادق يا بنيتي، لا يحتاج الى لسانٍ فصيحٍ ، يكفي أن تحبي الناس لتكوني قادرة على أحسن الكلام ، والان تفضلي بالجلوس، فامامنا الكثير من الوقت للكلام.

(تجلس صبيحة على المفارش الفخمة، تمد رجليها، فتبدوان وسختان مشققتان كأنهما حذاء)

الخادمة : اشلحي حذاءك يا ضيفة الرحمن.

الم حزام : (تشعر بالاحراج فتنهرها) أخرسي وقدمي لها القهوة، (الى صبيحة) هذه فتاة غبية مجنونة.

(صبيحة تخبئ رجليها تحت الثوب وتجلس محرجة)

ام حزام : أين خادمتك يا ضبفة الرحمن.

صبيحة : ظلت عند الجمل.

ام حزام : ولكن هذا لا يجوز، يجب أن تدخل لتستريح.

صبيحة : لا ..... يجب أن تظل عند الهودج.

ام حزام : لكنكما متعبتان جائعتان.

صبيحة : أنا أعرف خادمتي جيداً، إذا اقترب منها شخص فانها تهجم عليه وتعضه وتضربه.

ام حزام : (متأثرة) يا لطيف ... وكيف تامنين منها وهي مثل الكلب؟

صبيحة : بالضبط، إنها مثل الكلب، والكلب لا يعض صاحبه.

ام حزام : يا سبحان الله، وماذا يجبرك على مرافقتها.

صبيحة : إنها تحميني جيدا، انها افضل خادمة، تطيعني وتعمل كل ما اريد.

ام حزام : إذن نرسل لها الاكل، يجب أن تأكل.

صبيحة : لا ... أنا أرسل لها الأكل، لقد أكلت قبل قليل.

ام حزام : أنت لن تذهبي ، أنت ضيفة، الضيفة لا ترسل الطعام.

صبيحة : قلت لك إنها تعض كل من يقترب منا.

ام حزام : لا حول ولا قوة إلا بالله إذن فاشربي قهوتنا.

(تقدم لها الخادمة الفنجان، تشرب القهوة بشكل لا يدل على تهذيب)

ام حزام : أعرف أنك متعبة جداً، وتحتاجين الى استراحة (وهي تنهض) سوف أُبقي الخادمة عندك حتى تعتني بك، سوف تسخن لك الماء حتى تستحمين.

صبيحة : (تتفاجأ) لا .....لا....

ام حزام : لماذا ؟

صبيحة : لا أريد الاستحمام الآن.

الخادمة : لكن رائحتك قذرة.

ام حزام : (تنهرها) عيب أيتها الخادمة اللعينة، يجب أن لا تقولي هذا.

الخادمة : (الى صبيحة) آسف يا سيدتي (الى ام حزام) لكن انظري كيف تجلس وكأنها لم تجلس يوماُ في مضافة.

امحزام : (بهمس) علينا أن نحترم الضيف مهما فعل.

الخادمة : وانظري إلى بياض وجهها وسواد يديها.

ام حزام : (تقرصها) لا تكوني طويلة اللسان، هكذا خلقها الله.

الخادمة : وثوبها ثمين وجميل، لكنه ليس بمقاسها، كأنه ليس لها.

ام حزام : قلت لك اسكتي، ويكفي وقاحة.

الخادمة : (الى صبيحة) أكيد أنك جوعى الآن.

ام حزام : (الى الخادمة) الضيف لا يستشار في الاكل، نقدم له الطعام، وله أن يأكل أو لا يأكل.

الخادمة : وماذا تأمرين يا سيدتي مني، إنني طوع أمرك.

صبيحة : (تتمطى على الفرشة وتقول بدلال)
دعيني استريح أولا، وبعدها أستدعيك.

الخادمة : (تهمس الى أم حزام) وهل صدقت أنني خادمتها فعلاً ؟

ام حزام : (الى صبيحة) خذي راحتك يا ضيفة الرحمن؟

الخادمة : أحضّر لك الطعام أم أحضّر لك الحمام.

ام حزام : (للخادمة) دعيها تستريح ، إنها بحاجة إلى الراحة.
(إلى صبيحة) أعذريني، إنني أتركك لوحدك، وهذا ليس من عادتنا، لكني أعرف مدى حاجتك إلى الراحة.
(تخرج ام حزام والخادمة ، بينما تسترخي صبيحة)

المشهـــد الرابـــع

نفس المكان بقاعة الاستقبال بقصر الأمير حزام، تجلس النسوة الثلاث، يتحدثن

أم حزام : (إلى صبيحة) والآن قد مضى على محيئك ثلاثة أيام ، يحق لي أن أسألك عن اسمك، ومن أين انت، وأتحدث معك عن غرضك حسب عاداتنا.

صبيحة : (تتصنع الفخامة) هذا يسرني يا أم حزام، بعد أن أكلت عندكم الخبز والملح، لا بد أن نتعرف على بعض.

ام حزام : عرفت أنك بسيطة، وابنة أناس طيبين، لذلك أنا احببتك من كل قلبي

صبيحة: شكراً يا أم حزام، أنت سيدة عظيمة.

ام حزام : وما اسمك يا ضيفة الرحمن ؟

صبيحة : اسمي صبيحة ، نعم صبيحة، اسماني أبي كذلك، لأني ولدت مع الصباح.

الخادمة : ربما لان جبينك أبيض مثل الشاة الصبحاء.

ام حزام : (تضربها) اخرسي أيتها الخادمة السفيهة، انصرفي ولا تجلسي مع الضيوف.

الخادمة : آسفة يا سيدتي، لن أتكلم ثانية.

ام حزام : ومن أين أنت يا صبيحة؟

الخادمة : (مترددة تحاول التركيز) أنا ....أنا ....من شعب الطلب.

ام حزام : (تتذكر) وأين شعب الطلب هذا؟

صبيحة : إنها بلدة في الشمال.

ام حزام : (مستغربة) في أية منطقة في الشمال؟

صبيحة : في منطقة الدوم.

ام حزام : (أكثر حيرة) غريب !! أنا لم أسمع بمنطقة الدوم؟

صبيحة : وما ذنبي أنا؟ إنها بلاد نشأت بها.

ام حزام : (متراجعة) ربما ...! ولكن ما اسم أمير بلادكم؟

صبيحة : لا أدري

ام حزام : ولا تدرين اسم امير بلادكم !!

صبيحة : (ببساطة) لا ادري

ام حزام : (مغلوبة على امرها) ربما ... وما اسم شيخ عشيرتكم ؟

صبيحة : شيخ عشيرتنا ؟ (تتذكر) الشيخ روّاد

ام حزام : روّاد ؟ اظن اني سمعت بهذا الاسم.

(تنتقل الى موضوع آخر) أهلا وسهلا ، ولكن ما جاء بك الى هنا وحدك ؟

صبيحة : (يبدو انها لم تتوقع كل هذه الاسئلة، وان قريحتها لا تستجيب لهذا السيل من الاسئلة)

آه......(تتفطن) آه.........

ام حزام : (تنظر اليها باستغراب ، تتعجب من ترددها وضعف ذاكرتها)

صبيحة : آه ... أبي الشيخ رواد ....

ام حزام : (بفرح) إذن أنت ابنة الشيخ رواد

صبيحة : (مستدركة) نعم ... نعم ... أنا ابنة الشيخ رواد

ام حزام : إذن أنت ابنة الشيخ، فلماذا تنكرين ذلك؟ أهلا بك يا ابنة الشيخ، أكملي

صبيحة : (تكمل الصورة في ذهنها) آه كنت أقول أن أبي ومجموعة من الرجال والنساء قرروا الذهاب الى الحج، ركب كل واحد على ناقته، وأخذ زوادته، أبي أخذني معه انا وزوجة أبي، وسافرنا، وفي الطريق وقفنا للاستراحة في أحد الوديان المملوءة بالينابيع، وقرر أبي الشيخ رواد أن نبيت تلك الليلة هناك، أنخت جملي عند ينبوع بعيد عن الناس، كان المكان مخفيا، واغتسلنا انا وخادمتي، وغسلنا ثيابنا، وأكلنا وشربنا ونمنا نوماً عميقاً، وعندما افقنا لم نجد أحداً

ام حزام : (مندهشة) حكاية غريبة، كيف لم يفطن لك أبوك ؟

صبيحة : لأن زوجة أبي كانت مسؤولة عن ظعن النساء، ربما عرفت أني متغيبة، لكنها تجاهلت الأمر، امرأة أبي تكرهني، أرادت أن تتخلص مني بهذه الطريقة.

ام حزام : (بإشفاق) يا حبيبتي ... أنا أمك، سأكون أماً لك، سنعيدك إلى أهلك إن شاء الله، سنقعد لقوافل الحجاج الراجعة، يا الهي ... !! هل يمكن أن يكون أناس قساةً مثل زوجة أبيك ؟ كيف تتركك لوحوش البر ...؟؟ وبعد ذلك؟

صبيحة : ركبنا الجمل، ولم ندر إلى أي اتجاه سنذهب.

ام حزام : ولماذا لم تتبعوا الاثر ؟

صبيحة : لقد نزل المطر، فذهب بكل اثر لحوافر الخيل ومسير الناس، لقد فاض السيل وذهب بكل شيء.

ام حزام : ومنذ متى وأنتم تسيرون؟

صبيحة : منذ أربعة ايام.

ام حزام : (مشفقة) أربعة أيام ....؟

صبيحة : نعم.

ام حزام : لا بد أنكما قد جعتما كثيراً، وتعبتما أكثر.

صبيحة : ما دمنا قد وصلنا هنا، فنحن في راحة تامة.

الخادمة : (تشير الى قدميها) ولكن انظري يا سيدتي، ان قدميها تدلان على أنها سارت حافية طوال حياتها.

ام حزام : (تنهرها بشدة) أما قلت لك انصرفي، ولا تحرجيني مع ضيوفي ، انصرفي، غادري المكان حالا (تنهض الخادمة وتغادر المكان)

ام حزام : والآن ماذا نستطيع أن نفعل مع خادمتك ؟ (تتذكر) على فكرة ، ما إسم خادمتك ؟

صبيحة : اسمها جبينة؟

ام حزام : اسم جميل ، يليق بك أنت.

صبيحة : (بدلال) واسمي أليس جميلاً.

ام حزام : اسمك جميل، ولكنك بيضاء مثل الجبن.

صبيحة : (بسرور) شكراً .

ام حزام : وماذا تريدينا أن نفعل بها، لايعقل أن تظل جالسة بجانب الجمل.

صبيحة : (مفكرةً) ... اتركوها ترعى الغنم. اعطوها اغناماً ترعاها ... اتركوها لوحدها في البرية .

ام حزام : ولكن لايجوز في عرفنا أن نشغل ضيفنا راعياً غنم .

صبيحة : (من مركز قوة) أنا ضيفتكم، أنا الضيفة وليس تلك.

ام حزام : في كلا الحالتين لا يصح ذلك.

صبيحة : إن هذا ليس جديداً عليها ، لقد أمضت حياتها في رعي الغنم.

ام حزام : طوال حياتها ترعى الغنم ؟

صبيحة : نعم ، لا تعرف إلا الغنم.

ام حزام : حرام عليكم، الذلك أصبحت تعض.

صبيحة : لا ... لقد وضعوها مع الغنم ، لأنها تعض.

ام حزام : إنه أمر أخجل أن أفعله.

صبيحة : إن أحداً لا يستطيع الاقتراب منها، إنها لا تأنس إلا للاغنام .

ام حزام ؛ سأستشير ابني حزام عندما يرجع، فهذا أمر عليه هو أن يتخذه.

صبيحة : إن اقامتنا لن تطول في ضيافتكم، لذلك من الاحسن أن تقوم بأي عمل بدل الجلوس كالكلب.

(تدخل الخادمة بسرعة واستعجال)

الخادمة : سيدتي ، سييدتي... سيدي حزام لفى، سيدي لفى

المشـــهد الخـــامس

(نفس المكان السابق بكل ما فيه من مكونات ، يجلس الأمير حزام مع والدته جلسةً عائلية فيها الكثير من الود والتعاطف)

الام : بعد أن استرحت يا بني من الغزو، لا بد أن أكلمك بموضوع هام

حزام : (بتفاؤل) خير إن شاء الله,

الام : الم تشعر أنك كبرت، وأن الغزو قد أخذ من عمرك السنين الجميلة,

حزام : إذن عرفت ما تريدين قوله، ستتكلمين عن الزواج والاولاد.

الام : (مقاطعة) وهذا ما تتمناه كل أم لابنها.

حزام : ولكن أي فتاة يمكن لها أن تتزوج رجلاً محارباً مثلي، لا يستقر في مكان، وروحه بين كفيه.

الام : وهذا لا يعني أن لا تتزوج، فليس كل المحاربين عزاباً.

حزام : أرجو أن تؤجلي هذا الموضوع إلى وقت آخر، فأنا لم أفكر به اطلاقاً

الام : بل لأن فتاة ما لم تدخل قلبك.

حزام : ربما.

الام : لأنك دائم الجلوس مع العساكر والجنود، ولا تكون الا في البراري والقفار، ولا تجيد إلا الامر والنهي وقيادة الجنود، والغزو والسبي.

حزام : هذا ما ولدت من أجله، وورثته عن أبي.

الام : لا .... بل ولدت إنساناً طبيعياً، يمكنه أن يحب ويعشق ويتزوج وينجب أطفالاً

حزام : أعرف، ولكنها أمورٌ لم أفرغ لها بعد.

الام : إنه أمر يحتاجُ منك التفاتة بسيطة إلى الحياة، أن تنتبه الى وجود امرأة حولك.

حزام : حولي نساءٌ كثيرات، ولم يعجبني منهن واحدةً

الام : إذن دعني افتش لك عن زوجة مناسبة.

حزام : (يحاول أن يخرج من هذا المأزق) فتشي ومن ثم نتكلم.

الام : (بفرح) إذن أنت موافقٌ من ناحية المبدأ.

حزام : ولم أكن ممانعاً من ناحية المبدأ.

الام : (بعد تردد) وما رأيك بضيفتنا ؟

حزام : ماذا .... وهل عِندكِ ضيوف من النساء؟

الام : نعم.

حزام : (ينهض محتداً) وهل من اللائق أن أتزوج امرأةً وهي في بيتي؟

الام : وماذا في ذلك؟

حزام : وماذا ستقول عني العرب؟

الام : أنا قلت تتزوجها، ولا أحد يعترض على الزواج.

حزام : ولكن الزواج لا يكون بهذا الشكل.

الام : الزواج هو الزواج ، ولكل زواج قصة.
حزام : لا يمكن أن يكون الزواج بهذه الطريقة الحقيرة.
الام : سأريك إياها، وان اعجبتك نذهب الى أهلها، ونطلبها منهم، كما هي العادات.
حزام : (أصبح اكثر ليونة) ومن هذه الضيفة؟ أنا لم أرها قط.
الام : سأريك إياها، انها صبيحة، لقد حدثتك عنها.
حزام : الفتاة التي ترعى الغنم ؟
الام : (تضحك) لا ... إنها سيدتها، واعرف أنك شاهدتها في حديقة القصر.
حزام : أنا لا اذكر اني شاهدتها.
الام : لقد اخبرتني أنك شاهدتها عند شجرة النخيل.
حزام : تذكرت ، ظننتها إحدى صديقاتك، لذلك لم أحاول النظر اليها.
الام : وماذا شاهدت بها،
حزام : أظن انها ناصعةً شديدة البياض.
الام : نعم ، إنها بيضاء شديدة البياض، والدها شيخ كبير، ذهب الى الحج ، ثم تاه جملها الذي كانت تركبه عن القافلة، فالتجأت الينا.
حزام : ومن أي البلاد أبوها؟
الام : لا أدري ! تقول إنها من شعب الطلب.
حزام : لا يوجد مكان اسمه شعب الطلب،
الام : لا تهتم بالتفصيلات، إن اعجبتك صَبيحة فإنك لن تسأل كثيرا عن أبيها وأهلها وبلدها.
(تقترب منه هامسة) هل أطلبها لتراها
حزام : لا...لا... اجّلي الموضوع حتى أعود من المراعي
الام : ولماذا تريد الذهاب الى المراعي ؟
حزام : الاغنام اصبحت هزيلة، وكأن الراعية الصغيرة تطعمها السم؟
الام : ماذا ... هذا غير معقول؟
حزام : الاغنام والابقار والجمال هزيلة جداً ، كما لو أننا لم نسقها او نطعمها شيئا، لماذا أصبحت على هذه الحال ؟
الام : (بقلق) إذن لا بد أنَّ في الأمر شيئاً
(متذكرة) ربما تقوم بعضّها !!!
حزام : (مستغرباً) عضّها ..؟ قلت تعضّها ؟ هل يمكن لأحد أن يعض البقر والغنم والحمير ؟
الام : (تشعر انها بالغت او اخطأت)
حزام : قولي لي ، ما قصة هذا العض؟
الام : تقول صبيحة أن جبينة تعض كل من يقترب منها.
حزام : كلام هراء، لا بد ان يكون هناك أمر آخر.

الام : ارجوك لا تذهب اليها ، ارسل أحد الجنود لكي يرى الامر، فربما تعضك.

حزام : (محتدا) تعضني؟ من يستطع أن يعضني؟ بل من يجرؤ أن يقترب مني ؟

الام : إذن ماذا تفعل بالحلال ؟ أنا لم الحظ هزال الحلال.

حزام : (تلتمع في رأسه فكرة) لا بد من أحدٍ قد دسها علي، ليقضي على ثروتي وملكي.

كان علي أن أتروى كثيراً قبل أن اوافق على إرسالها راعية، ربما تطعمها السم فعلا، علي أن اكتشف الامر بنفسي.

الام : (تهدئه) يجب أن لا يذهب ظنك بعيداً، إنها خادمة صبيحة.

حزام : ومن تكون هذه صبيحة؟ ومن أين جاءت؟

الام : إن شئت استدعيتها لك، وتراها.

حزام : بعد أن أعود (مفكرا) نعم ، نعم ، يجب أن اأراها.

الام : لكن عليك أن تهدأ أولاُ، أن تكون ودوداً، أن تتكلم معها بلطف، أظنها ستعجبك، وقلبي يحدثني أنك ستتزوجها.

حزام : سأراها، ليس لاجل أن تكون عروسا لي، بل لاعرف أشياء اخرى.

الام : عليك أن تهدأ أولاً ، ولا يحق لك أن تحقق مع امرأة، إنك تراها فقط، تسمع صوتها، تكلمها كلمتين لا غير.

حزام : (يكتم غيظه) أجل ، أجل ، سأفعل.

الام : (تقدم له فنجان قهوة) اهدأ ، واشرب القهوة ريثما أحضرها لك.

المشـــهد الســـادس

المشهد خارجي في البرية، إذ تبدو أشجار وأعشاب وأغنام ترعى وأبقار، ومنحدرات صخرية، يدخل من جانب المسرح الامير حزام ومعه مرافقه، يمعنان النظر في البرية، يركزان اهتمامهما على قطيع الاغنام الذي ترعاه جبيتة، يقفان بجانب صخرة كبيرة.

حزام : إنها هناك ألا تراها يا لافي.

لافي : أراها أيها الامير، فتاة صغيرة الحجم، ضعيفة، لا تصلح للرعي.

حزام : (كأنه يكلم نفسه) وهل هذه الفتاة تقوى على العض؟

لافي : وأي عض أيها الامير.

حزام : سمعت أنها تعض كل من بقترب منها، بل إنها تعض المواشي.

لافي : (بحيرة) إنها حالة لم أسمع عن مثلها من قبل.

حزام : سنرى إذن.

لافي : ها هي تقترب، إنها حافية القدمين.

حزام : إني لم أرها من قبل.

لافي : حرام أن تظل هذه الراعية الصغيرة حافية.

حزام : قلت لك ليس لي علم إن كانت حافية ام لا، لأني لم أرها.

لا في : ومن أين جئت بها؟

حزام : إنها خادمة لصبيحة.

لافي : ومن هذه صبيحة؟

حزام : ضيفة عندنا، بيضاء جميلة، خجولة، أهم ما فيها وجهها الناصع.

لافي : إنك تتكلم باعجابٍ عنها، فهل ستتزوجها يا صديقي؟

حزام : نعم ... إني أفكر بذلك.

لافي : (باغتباط وفرح) مبارك يا صديقي ، لماذا تخبئ ذلك عني؟

حزام : إن الامر ما زال في بدايته، لقد رايتها هذا اليوم فقط، كلمتها واعجبتني، ويبدو أنها موافقة على الزواج مني.

لافي : ألف مبروك يا سيدي، إنها بشرى عظيمة، فمتى يكون الزواج؟

حزام : لا أدري ... ولكننا سنحضّر له.

لافي : وهل خطبتها من أهلها؟

حزام : سألتقي والدها وهو راجع من الحج، أنت تعلم أن الحجاج يمرون قريبا من هنا، ولكن لا ادري، أأتزوجها أولا ثم افاجئ والدها بذلك؟ أم انتظر حتى اطلبها منه رسمياً؟

لافي : وما الداعي للعجلة، أنا أفضل الانتظار.

حزام : (يتنبه لاقتراب جبينة) أنظر لقد اقتربت الراعية.

(يتذارى الاثنان خلف الصخرة للمراقبة)

(تدخل جبينه متعبة ، تجلس على حجر ، تتبعها الاغنام ، تتحلق حولها، تقترب منها بشكل وديّ وكانها تألفها)

لافي : (وهو يتفحصها) إنها ضعيفة هزيلة كالأغنام
حزام : كأنها بحاجة لمن يرعاها، انها لا تقوى على العض.

جبينة : (تغني بصوت حزين بينما تقترب الاغنام منها)
يا طيـور طـايرة يا نجـوم سـايرة
سلموا ع امي وابـوي قولوا جبينة راعيـة
ترعى غنم ترعى جمال تقيّل بفـيّ الداليـة

(تحدث حركة ما بين الاغنام، حزام ولافي يتفاجآن لما يحدث)
جبينة : (تتابع الغناء)
يا ها السما الواسـعة يا ها الشمس الطالعـة
روحي لامـي وابـوي قولوا جبـينة جـايـعة
توكل زعتر توكل لوف في البراري ضايعــة

(لافي يبكي تاثرا، كذلك حزام، يمسحان دموعهما باكمامهما، تقترب نعجة من لافي وحزام ، ينظران اليها وقد نزلت من عينيها الدموع.
لافي وحزام يعودان البكاء)
جبينة : (تتابع الغناء)
يا كـلاب نابحـة يا غيـوم سـابحــة
والخدامة صبيحة ام الريحــة الفايحـة
ساكنة جوّا بالقصـر وبـرّا جبينة سـارحة

حزام :(يمسح حزام دموع الحزن، ويتقدم من مكانه، وكأنه عرف ما يكفي، او لم يستطع احتمال حزن أكثر)
: لقد عرفت السر، حتى المواشي بكت لحالها، لا بد أن حزنها عميق جدا، فكيف للمواشي أن ترعى بعد هذا البكاء؟
يقترب الاثنان من جبينة، تتوجس منهما خيفة، تبتعد نحو الخلف)
حزام : من أنت أيتها الفتاة؟
جبينة : (وهي ترتجف) أنا جبينة يا سيدي.
حزام : (بلطف) ومن علمك هذا الغناء الحزين؟
جبينة : ومن أنت يا سيدي؟
حزام : أنا الامير حزام، أمير هذه البلاد.
جبينة : (تسكت جبينة خوفاً وخجلاً)
حزام : لم تجيبي بعد، من علمك هذا الغناء؟
جبينة : لم يعلمني أحد.
حزام : ولماذا غناؤك حزين هكذا؟
جبينة : لا أدري .... لأني حزينة.

حزام : ولماذا أنت حزينة؟
جبينة : لاني تحولت من سيدة إلى خادمة.
حزام : ومن الذي حوَّلك إلى خادمة.
جبينة : صبيحة، خادمتي صبيحة، جعلتني خادمة لها.
حزام : (مندهشا) صبيحة...؟
(إلى لافي) هل تصدق هذا يا لافي؟
لافي : صبيحة ألتي تريد الزواج منها؟
حزام : ها قد تكشفت لي بعض الحقائق قبل فوات الأوان.
(إلى لافي) اذهب يا لافي واحضر صبيحة الى هنا حالاً ، أريد أن أراها الان.
وأجعلها تواجه مصيرها (يشهر سيفه)
لافي : أمرك يا صديقي
(يخرج لافي من المسرح مسرعا)
حزام : (بلطف) ولماذا أنت سوداء اللون هكذا أيتها الفتاة ؟
جبينة : صبيحة، لقد غيرت لوني، دهنت وجهي بالسخام، فاصبحت عبدة كما ترى.
حزام :ولماذا هي ناصعة البياض؟
جبينة : لقد دهنت وجهها بالجير الابيض، تحول لونها الاسود الى اللون الابيض.
حزام : (يهز رأسه) هكذا إذن ....!!!
جبينة : (تتابع شكواها) نعم يا سيدي، لقد تركتني أسير حافية، حتى نزلت الدماء من قدمي.
ولبست هي حذائي.
حزام : (بغيظ شديد) وأكثر من ذلك خدعت أمي، أعلمتها أنها ابنة شيخ، دخلت الى قلبها الطيب كالأفعى، حتى طلبت مني أن أتزوجها، لا استطيع أن أقول أنني أحببتها، ولكني أقول إني خدعت بها أيضا، وقررت الزواج منها، ولكن سأكشفها الآن وأفضحها، وأعاقبها بهذا السيف، حزام ليس مغفلاً.
(يدخل لافي من الخارج)
لافي : ها أنا قد جئت بها.
حزام : (إلى جبينة) اذهبي واختبئي يا جبينة خلف تلك الصخرة
(تذهب جبينة بينما تدخل صبيحة)
صبيحة : (متوجسة ، لكنها تبدو مسرورة) ماذا تريد مني يا سيدي؟
حزام : استدعيتك لكي أريك أملاكي، أنظري الى هذه الارض، وهذه الماشية
صيحة : زاد الله من ملكك، وبارك الله به يا سيدي الامير،
حزام : (ساخراً) ولكني أرى بعض الأغنام معضوضة.
لافي : (يتابع السخرية) لا بد أن الراعية هي التي عضتها.
صبيحة : (تمثل عدم الفهم) وأين هي خادمتي؟ أين ذهبت؟

حزام : إنها راعية مهملة.
صبيحة : عساها لم تهرب !!
حزام : لا تقلقي، سأحضر لك خادمة جديدة.
صبيحة : (بتخوف) لا يمكن لها أن تهرب.
حزام : قلت لك لا تقلقي، سأحضر لك خادمة جديدة.
صبيحة : ولكنها خادمتي منذ كنت صغيرة، لا يمكنني الاستغناء عنها.
حزام : رغم أنها تعض كل من يقترب منها.
صبيحة : (مرتبكة محرجة) ماذا ؟ من قال هذا؟
حزام : (ينادي) يا جبينة، يا جبينة، تعالي لسيدتك.
(تخرج جبينة من وراء الصخرة)
حزام : هذه سيدتك جاءت لتطمئن عنك، ماذا ستقدمين لها؟
جبينة : (لا تدري ما تقوله) الذي تأمره يا سيدي.
حزام : أريد منها الاستحمام بالغدير.
صبيحة : (تنتفض) لا...لا... من قال إني أريد الاستحمام.
حزام :(بهدوء أعصاب) ولماذا ؟ لدينا في الاسفل ينبوع ساخن، وبركة ماء دافئة، وغرفة للجلوس والاستحمام.
صبيحة : أنا لا استحم خارج بيتي، ومن العيب أن تكلمني بهذا الأمر.
حزام : ولكني أردت أن تجربي مياهنا الدافئة، وتتعرفي باراضينا، وعليك أن تذهبي للاستحمام.
صبيحة : ولكني لست زوجتك حتى تأمرني بهكذا أمر.
حزام : (يقترب منها ويغير لهجته) ولكني لا أسمح لأحد كان، أن يخدعني أو يخدع أمي.
(يأتي الطائر سمعون ، يسقط على كتف جبين. جبينه تتفقده بحنان، تقبله)
جبينه : (إلى سمعون)
الحمد لله أنها لم تقتلك، إنك فررت منها، الحمد لله أنك عدت الي.
سمعون : يغرد بصوت ببغاني .
جبينه صارت خادمة صبيحة صارت ستها
جبينه صارت خادمة صبيحة صارت ستها
حزام : (يقترب من جبينه) ماهذا الطائر العجيب .
جبينه : إنه طائري الذي أكلمه ويكلمني ويرسل لي رسائلي.
حزام : وماذا يقول؟
جبينه : أرسلت معه هذه الرساله إلى أهلي والحمد لله أنه عاد الي
حزام : وهل ذهب إلى اهلك وعاد ؟
جبينة : (تخاطب الطير)
يا سمعون يا دوّار شو اللي جبته من أخبار
سمعون : (يصوت ببغائي)

ي جبينة ربك كبير   يا جبينة ربك كبير
امك شافت بالمنام   يتجوز منك أمـير

حزام : ما هذا الكلام ؟
جبينة : إنه كلام أمي، لقنته هذه الرسالة.
حزام : وهل يعرف الطريق إلى دياركم ؟
جبينة : أكيد ... وإلا ، كيف ذهب وعاد ؟
حزام : (الى صبيحة) وما قولك بعد أن رجع الطائر؟
صبيحة : إنه ببغاء غبي، لا يعرف ما يقول.
حزام : فليكن، أنت ترفضين الاستحمام في الغدير,
صبيحة : نعم... وأريد أن أغادر هذا البلد، أعطني خادمتي، وسأركب جملي وأرحل.
حزام : (يستل سيفه ويشهره بوجهها) إسمعي ... لا عاش من يستغفلني ، أنا حزام إن لم تعرفيني؟...فاعرفيني الآن.
صبيحة : أنا ما استغفلتك ولا ضحكت عليك، وأنا لست من رعيتك حتى تامرني وتحكم عليّ.
حزام : أنا حزام، أفعل ما أريد، ولا أحد يرفض لي كلاماً.
صبيحة : ماذا تريد مني ؟
حزام : هات القربة يا لافي (يتناولها) اغسلي وجهك بالماء أمامي.
صبيحة : لا أريد ... لا أقدر.
حزام : قلت اغسلي وجهك.
(لافي يدلق عليها الماء، فتقوم تلقائياً بمسح الماء عن زجهها، يزيد من سكب الماء عليها، فنزالت طبقة الجير، ويتحول وجهها إلى الاسود)
حزام : صب الماء على جبينة
(لافي يصب الماء على يديّ جبينة، تقوم بغسل وجهها، يتحول لون وجهها من الاسود الى الابيض، تنجلي الامور ويقف الجميع يترقبون ما سيفعله حزام)
حزام : وماذا أفعل بك أيتها الخائنة؟
صبيحة ؛ العفو يا سيدي.
حزام : اركعي ... سوف أقطع رأسك بهذا السيف.
(تركع صبيحة بينما يرفع حزام السيف)
حزام : (إلى جمهور وفيهم الاطفال) هل أقطع رأسها؟
(تصدر أصوات مختلطة غير واضحة من الجمهور)
جبينة : (تتدخل) أعف عنها يا سيدي، فأنا سامحتها، فلا تقتلها.
حزام : (إلى الجمهور) هل أسامحها؟
(تصدر أصوات من الجمهور)
لافي : اتركها ترعى الاغنام بدلاً من جبينة.
حزام : (الى الجمهور) هل أجعلها ترعى الاغنام؟

(تصدر أصوات من الجمهور)

جبينة : ارجعها خادمة لي ... أرجوك ارجعها خادمة لي.

حزام : (إلى لجمهور) هل توافقون على إرجاعها خادمة لجبينة مرة ثانية,

(يسمع اصواتاً متباينة من الجمهور بين المعارضة والموافقة)

(تنهض صبيحة متقدمة نحو الجمهور)

صبيحة : شكرا لكم لقد انقذتموني.

(يتقدم لافي الى الجمهور)

لافي : وهل يتزوجها ام يتزوج جبينة

(يسمع أصواتاً مختلطة غير واضحة)

حزام : (يتقدم الى الأمام) لم أسمع ... هل تصلح جبينة زوجة لي

(يسمع أصواتا بالموافقة)

صبيحة : لم تسمع موافقة جبينة.

لافي ،: اسألها إنها أمامك.

(الى الجمهور) هل يسألها ؟

(يسمع اصواتا بالموافقة)

حزام : ما رأيك يا جبينة ؟

جبينة : حينما تسأل أبي، ستسمع الجاب منه.

النهــاية

سعادوة أبوعراق / الزرقاء 1995